ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

همس العذول في الشعر الشعبي الأردنيّ

(دراسة في قصائد مُختارة)

(من إعداد الباحثة: بشرى محمد محيل الحويطات)

تاريخ استلام البحث: 1 / 2 / 2026 تاريخ قبول البحث: 2 / 4 / 2026

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

يُعد العذول قاسماً مشتركاً في التجربة الشعرية، فصيحةً كانت أم شعبية، فيطل كرمزٍ إنسانيّ يواكب انفعالات العاشق، كما يكشف عن أبعاد النزاع القائم بين الفؤاد الهائم والرقابة الاجتماعية.

وإن غدَ العذول ظاهرة مشتركة في التجربةِ الشعريةِ عموماً، فلا بُد من أن حضوره في الشعر الشعبيّ الأردنيّ قد اكتسبَ بُعداً خاصاً؛ وذلك لارتباطهِ بالبيئةِ الجمعية، والثقافيةِ، التي نشأ فيها هذا الشعر، فبدوره عكس منظومةً من القيمِ والعاداتِ والتقاليدِ التي قيّدت حرية العاشق، وفرضت عليه مواجهة حرب داخلية، بين ما يعشق القلب، والضغوطات التي فرضها المجتمع؛ الأمر الذي يجعل العذول عنصراً فنياً ودلالياً فاعلاً في تشكيل البنية الشعورية للنص الشعبي الأردنيّ.

يظهر العذول في كل مرة بدور فاعل إثمٍ لتلك المشاعر المكنونة، التي تعجز أيادي الأطباء عن علاجها، فيكون الجرح فيها أعمق، وعلاجها من ضروب المستحيل، فمثلاً حين أشد العاذل عذله على البحتريّ، تمنى قائلاً:

بِوُدِّيَ لَو يَهوى العَذولُ وَيَعْشَقُ فَيَعْلَمَ أَسبابَ الهَوى كَيفَ تَعلَّقُ (1)

وحين ازداد التوتر بين العاذل والعاشق، حيث العشق غير محتكر على المحبوبة فحسب؛ فقد ترى عاشقاً لوطنه، أو مليكه، لكن عمل العذول واحد، لا مسعى له إلا تواري القلوب عن بعضها بعد قربها، فهاهي الملامة قد كبر حجمها، وطفح كيل المتنبي من عذل العذول الذي يبث القلى والفراق بينهما، توجع قائلاً :

القَلبُ أَعْلَمُ يا عَذولُ بِدَائِهِ وَأَحَقُ مِنكَ بِجَفنِهِ وِبِمائِهِ

(1) البُحتريّ: (ديوان البُحتريّ)، ت:(حسن كامل الصيرفي)، دار المعارف، كورنيش النيل . القاهرة، 1119، ط(3)، المجلد الأول، ص1534

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

فَوَمَن أُحِبُّ لَأَعصِـــيَنَّك في الهَوى قَسَـــمَاً بِهِ وَ بِحُســـنِهِ وَبَهَائِهِ

أَأُحِـبُّـهُ وَأُحِـبُّ فـيـهِ مَـلامَـةً إنَّ المَلامَةَ فيهِ مِن أَعدائِهِ ([1])

وفي الشعر الشعبي تجد للعذول ميدان يكثر فيه اسمه، حيث العذل من أكبر هموم العشاق، فالمشاعر لا يمكن كبحها، كما لا يمكن اختيار لمن هي، فكان العذل حاضراً في الشعر الشعبي وبكثرة، فيبكي قلب العاشق من لسان العذول الذي يتناثر سُماً ،وقلبه الخلي من رياح العشق التي وإن هبت أطفئت نيران الثأر؛ لذلك تجد الشعراء في الشعر يوثقون معاناتهم مع العذول، الذي قد ينجح أحياناً قي بث الفرقة بين المتحابين، ومنهم من يوثق كيف أنتصر رغم الأشواك التي نثرها العذول في طرق الصفاء.

فها هو العذول يثبت نفسه في الشمال والجنوب، وفي الشرق والغرب حتى غدَ ظاهرة تخنق الشاعر وتكدر صفو عيشه، قال ناصر المجماج وهو أحدُ النقّادِ والرواةِ السعوديين، في لقاء مُصور: أن من أكبر مشاكل العشاق العذل واللوم، مُستشهداً بأبيات للشاعر السعودي عبدالله بن سبيّل*، بعد أن وصل به الحال إلى الرفض القاطع لمحاولات العُذّال في التفريق وبث سم الجفاء بينه وبين محبوبته، حيثُ قال الشاعر:

لا تمحنون* القلب يا عاذلينـه الأمر لله والحكي ما يثـيـبِي*

لا خِبر* عن باسه ولا عالمينه يعلـم به اللي للدعا يستجيـبـي

عامين أكنه* يوم أنا مستهينه* ولا ودّي أبدي للعرب ويش غيبي

واليـوم يوم إنه تبيّح* كنينـه أنا مُحب وجعتي من حـبيبـــي ([2])

(2) المتنبي، أبو الطيب: (ديوان المتنبي)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،1983،ص 350

*عبدالله بن سْبَيّل (ت: 1352هـ .1933م): عبدالله بن حمود بن سعد بن سْبَيّل الباهلي، من بلدة نِفي، كما كان أميراً لها، كانت بلدته بلده زراعية، وأكثر سكانها يعملون في الزراعة، حتى امتهنها، إلا أنه عاش كريماً، وله قصائد تبين أثر الكفاح

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تبدأ القصيدة بفيض وجداني عارم، حيث تجد مشاعر الكتمان والأنفة، والصبر المر، فلا يشكو الشاعر ليحصل على العاطفة، بل ليفرغ ثقلاً صدره لم يعد يقواه، فيطلب منهم كف اللوم عنه وعن قلبه، فالأمر كله لله وحدة، والكلام لا جدوى منه بعد الآن، ليظهر لنا بعد هذا سيكولوجية الكتمان المزمن، لعامين والسر بينه وبين ذاته التي جبلت على كتم الهوى، فلم يكن عشقه مجرد سر، بل أعمق من ذلك وكأنه استراتيجية بقاء .

يُدرك الشاعر عبثية الشكوى للناس، التي لا تولد سوى الشفقة، وهذا أكثر ما يكرهه الشجاع العاشق، فالحكي كما وصفه لا فائدة منه، فلا يسمن ولا يغني من جوع، فيرفض الشاعر كشف أسراره المدفونة، لا خوفاً من الفضيحة، بل كرهاً في الشفقة على حاله.

فبعد أن كان يُمارس الفوقية على ألمه، مُعتقداً أنه أقوى وأكبر من الحزن الذي يولد بعد الفراق، قادته السيطرة المفرطة لانفجار عارم وذلك بعد استخدامه للفعل تبيّح كنينه، وكأن الصبر صندوق يخبئ فيه الوجع والشوق والحرمان، فلم تعد جدران القلب تقوى على حبس هذه المشاعر داخل ذلك الصندوق المقفل، فأصبح السر مشاع ليس لأن هذا ما أراده الشاعر، بل ملامحه وروحه كشفت للعرب مكنون صدره.

فكانت الضربة القاضية في القصيدة، أن ما به من ألم لم يكن من عدو، بل من ذاك الحبيب، فما أقسى الشكوى من منبع الأمان، والكدر بعد الصفاء، فلو كان الجرح من عابر سبيل، لما أنقضى عامين، ولا حتى أسرف في كتمان تلك الأوجاع التي سرت في عروقه.

تمثل في القصيدة أدب الصمت والتكتم على الوجع، وكأنه عاشق عُذريّ، يكتم هواه ويحفظه من قول قائل، حتى أنكسر هذا الصمت وتحول إلى بوح اضطراري، فبعد أن كان يقدس خصوصيته الوجدانية،

والكد الذي عاش فيه ومنه حياة كريمة، ومع هذه المعاناة وما تعرض له فإن شاعريته لم تتأثر بهذه الظروف، بل كان متفرداً بشعره ومعبراً عن عاطفة صادقة، وتجربة فذة أنتجت أرث شعري عظيم.

تمحنون: تتعبون، * يثيبي: غير مجدي ،خِبر: عُرف عما يخفيه، أكنه: أخفيه، مستهينه: مستهين فيه، تبيّح: أبدى ما يُخفيه.

(1) عبدالله بن سْبَيّل: (ديوان ابن سْبَيّل)، جمعه:(محمد بن عبد العزيز بن عبدالله بن سْبَيّل)، مكتبة الملك فهد الوطنية،2004، ط(2)، ص(73).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

والبوح من منظوره أشبه بالتعري، إلا أنه بعد عامين من الكتم، فاض الكنين بالمستور ، وكان أقوى من طاقة البشر، فاضحت المشاعر جلية بعد أن كانت مستورة في "ذرى"، ذلك الشيخ الشجاع، والعاشق الصادق، والبدويّ الذي أجبرته صحرائه ورمالها على ألا يظهر إلا قوي صلب.

ومن أوائل النماذج الأردنية التي وقع اختيار الباحثة عليها، قصيدة للشاعر محيل المصبحيين*، حيث شكى الشاعر مما بكى منه غيره من الشعراء، فصّور بدوره العذول صوراً عديدة، مما يؤكد عمق ما أصاب سهم العذل في فؤاد الشاعر، حيث قال في هذا:

قلبي عيّاني* وأنا اهصّه* يركض مع الناس مجنوني
تعال اعلمك بالقصة تقرّبي جاي يا عيوني
تعالي ناخذ لنا حصة قبل الحواسيد يدرونِ
وصل الهوى جابني مَسَّه* يا اهل الهوى لا تلوموني
ولا تطاوعي ناس مندسّه* شوعيةٍ ما يصوموني
حَذور* عن راعي الجِسَة* لو هو جليلٍ ومزيوني*
وإن جنب الشر لا تعسّه* الناس مثل التلفوني
لي صاحبٍ باغي* النَسّه* يا لو اشيله على متوني*
وغدن ضلوعي لهن حنه* حنة خلوج المعازيبي*
ودمعي كما قاطر الشنه* لولاي أمشه* عدم جيبي*([1])

*محيل عتيق المصبحيين (ت:1992.9.26): شاعر من شعراء البادية الأردنية، الجنوبية بالتحديد، يعود نسبه لقبيلة الحويطات العريقة، وهو من أعلام الشعر الشعبي في الأردن، نشأ يتيم الأب؛ وذلك بعد أن توفي أبوه ولم يبصر الضوء بعده، فعاش وحيداً لوالديه، وله قصة عشق ملحميه ساهمت في ولادة ملاحم شعرية وجب الاطلاع عليها، كان محباً للأردن وأهلها فعمل

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تنهض القصيدة على توتر داخلي قائم بين الوجدان المتيم، والواقع القامع للعشق وأهله، لتدور رحى المعارك بين الوجدان والرقابة الاجتماعية، فتقدم نموذج من البوح الوجداني الصادق في الشعر النبطي، فالقصيدة بهذا نص ينطق بلسان العاشق المحاصر، ليجسد مأساة الإنسان الذي يعشق بحرية في مجتمع يخنق سرب العواطف من التحليق.

تتأسس العاطفة في القصيدة على الصدق والاحتراق، فالشاعر لا يُجمّل وجع قلبه، يقدمه عارياً كما هو، فقلبه المتيم المتمرد لم يعد قادراً على كبحه والسيطرة عليه، لكن هذا القلب الجامح كالمجنون يركض من شدة الوجد الذي أنهك قلبه.

فبعد إن خسر الشاعر المعركة مع هذا القلب الذي سيطر عليه العشق، أطلق العنان لدعوة صريحة، علّ الحبيبة تقترب، ليشرح لها حجم الوجع والمعاناة التي أثقلت قلبه وعلى إثرها أصبح قلبه دون لجام، يدعو الشاعر الحبيبة ليغتنم معها لحظة وصال صادقة، قبل أن ينتبه أهل الحسد مفرقين شمل المحبين، ويفسدوا عليهم هذه الخلوة التي لا تُعقد كثيراً.

يبرر الشاعر حاله وما دفعه لهذا السلوك، أن العشق والوجد قد مسّ قلبه وأعياه، لذلك يطلب من أهل الهوى، كف يد العذل عنه، يعود الشاعر للمحبوبة محذراً إياها، من سماع كلام الناس المندسة، الذين لا غرض لهم إلا بث الخراب، فبعد أن كانت هذه المحبوبة القبلة الذي يولي الشاعر وجهه شطرها، أصبحت

في قوات البادية الأردنية . حرس الحدود، له قصائد مغناه، وهذه القصيدة التي وقع اختيار الباحثة عليها قصيدة طويلة، فاختارت الباحثة مجموعة من الابيات التي تخدم البحث.

*عيّاني: رفض الاستماع للنصيحة، *اهصه: امنعه أو انهاه* مَسَّه: شده الموضوع،* مندسّه: متخفيه للفتنة،*حَذور: خذ الحذر،*الجِسَة: ناقل الأخبار بغرض الفتنة *مزيوني: جميل الملامح، * تعسّه: تجنب البحث في الموضوع،*باغي: رايد أو حاب، *النَسّه: الترك، *متوني: ظهري، *حنه: صوت بكاء الناقة، * خلوج المعازيبي: الناقة التي ضاع ابنها، *قاطر الشنه: قربة الماء، * أمشه: امسحه، * جيبي: ملابسي.

(1) المصبحيين، محيل: (ديوان الشاعر محيل عتيق المصبحيين)، جمع: (د. منيرة محيل المصبحيين)، وزارة الثقافة . عمان، 2008، ط(1)، ص32.31

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

مكاناً للريح العاتية والزوابع، وهذا ما تريده الناس المندسة زرع الشك في مواطن الأمان، فهم على حد قوله:" شوعية ما يصوموني"، تأكيداً منه على أن لا عهد لهم ولا حتى ضمير.

يعود الشاعر ليحذرها عن ناقل الجسة، بهدف هدم العلاقات الصادقة، يؤكد الشاعر للمحبوبة أن العاذل، قد يأتي بثوب النصح، لكن قلبه خالٍ من الولف الصادق، فالعاذل عمله واحد حتى لو كان ذا مظهر حسن، وضحكة جذابة.

يتضح للشاعر بأن وفائه سيُقَابل بصدٍ وهجران، فبعد أن قدم النصح للمحبوبة، قرأ الكلام الذي لم تنطق به بلسانها، بل أتضح في ملامحها، لذلك قال: لي صاحب باغي النسه، أي ناوي على الفراق ونقض عهد الهوى الذى خاط نياط قلبه، حتى وإن حملها هي وأوجاعها على ظهره، مهملاً الجميع وأولهم نفسه، جاء هذا التعبير بعد أن تيقن الشاعر بإن رياح العذل أصابت خيام قلبها، وتضعضعت أركان العشق في حناياها.

عاد الشاعر ليتخيّر من الصور أقساها، في الوجدان البدويّ، فالخلوج التي تبكِ ابنها بعد أن بث الفراق سمه بينهما، إما بموت أو أحد أشكال الفقد الأخرى مثل البيع أو الهدية، تصدر الأم صوتاً أسماه البدوي لشدة وجعها بالحنين، فصوتها يتقطع علهم يرجعوا لها مضنون عينها، الذي لم يكن الفراق خيارهما بل فرضه الواقع، وذلك هو حال الشاعر الذي استعار الحنين لعلمه بأن هذا هو أقسى الأصوات وأكثرها إيلاماً في وجدان صحرائه، عل العذول يحرك ساكناً، والمحبوبة تعود لرشدها، رغم استحالة هذا الطلب.

وفي البيت الأخير يختار الشاعر الشنة لتعبر عن صدق دمعه وعذوبته، فقربة الماء هذه، لها في الذاكرة الجمعية عند البادية، صور من الصفاء والنقاء، و الدمع الذي كان يتساقط من عينيه، لا يشبه في صفائه إلا مياه هذه القربة، فتنهمر دموعه بغزارة، ولولا أن يمسحها بكلتا يديه لانعدمت ملابسه وتبللت، مؤكداً بهذا غزارة الدموع التي انهمرت بعد القلى الذي أنهك روحه.

تُجسد الأبيات مكابدة الوجد، فالصراع قائم بين المحب ورغبته في الوصال، والوشاة الذين يمتلكون عدة وجوه، والحُب الذي أوصله الجنون، اتضحت معالم نهايته في ملامح المحبوبة، التي سيطر العذّال

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

على فكرها، فأوصلت حاله إلى الحنين ووجعه، والدمعة لا تسقط إلا ومعها رفيقة، فتنهمر الدموع انهماراً، وليس للشاعر إلا مسحها والرضى حتى وإن كان مؤلماً لقلبه الذي أعياه فراقها.

و ثاني النماذج الشعرية التي وقع اختيار الباحثة عليها، هي أبيات للشاعر عبدالهادي البحيح*، الذي أصاب سهم العذل فؤاده، فتمنى زواله، وطلب من العذول الرحمة، قائلاً:

قل للعذول الحاسـد الله حسيبـك ما لك ومال الناس ومشاطـن* الناس

ذاك ونصيبه وأنت ارضَ بنصيبك لا تخلـي ابليسـك صديقـك وسواس

ما صاب أبن آدم بحسدك يصيبك ومـن داس لآبن آدم طرف غير ينداس

ودي اسألك لو احسدونك حبيـبك وما بينكم صـاروا عـواذل وبـلّاس*

وش حيـلتك بالله باللي يصيبـك ومن سبّة الحسـاد في ضـيق الانفـاس

لا يالعذول الحاسـد الله حسيبـك اتـق إلـه الكـون في سيرة النـاس ([1])

*عبدالهادي البحيح العثامنة الحويطات: بعد طلب الباحثة من الشاعر نبذة تعريفية، جاد بهذه القصيدة التي عبرت عن مراحل قد عاشها، وبها تجد كافة معلوماته:

انـا عبدالهادي سليل ابن عثمان وبحيح خمسي والحويطي قبيله
وابوي قاسم من زحازيح الاعيان شاعر عسير القافية تنحني لـه
والجد عوده ولابتي شانها شان ولا عليكم عليكم زود ولا فضيله
ميلادي الاردن جنوبٍ من معان فـي قمة اجبال الشراه الجميلة

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تبدأ القصيدة بدعوة صريحة من الشاعر بعد أن ضاق صدره من العذول الذي طال حسده أجمل العلاقات وأنقاها، مستنكراً منه التدخل في شؤون الناس، وبث سم الفرقة بعد القرب، ليقوم الشاعر بعد ذلك بتذكيره أن لكل منا نصيب وجب عليه الرضى به، ولا يكن كإبليس الذي لم يرضَ بل ويجعله هو وسواسه صديق منه قريب، كما يذكّر الشاعر العاذل الحاسد بأن ما تقدمه عائد لك لا محاله، فإن حسدت سَتُحسد، وإن دُست على طرف أحدهم سَتُداس، فما الدنيا إلا دوائر تدور.

يبدأ الشاعر بحياكة أسلوب جديد في القصيدة علّ العذول يكف عن عذله، حيث يضعه في الموقف الذي أبكى الشاعر مرات عدة، ويسأله موقناً بالإجابة، فيقلب الأدوار، ليحصد العاذل ثمار ما زرع، وليشعر بمر ما ذاقه العاشق، من ألم وبُعد وقلى.

يواصل الشاعر الضغط الشعوري على قلب العاذل، عله يظفر بنصر صغير على الحاسد الذي يطلق نبال البين، التي تصيب القلوب الصادق وفائها، فيصبح ذنبها أنها أحبت بصدق، وكُشِفت للعلن، وما إن كُشِفت حتى أصبح الوأد نصيبها، وكأنها جريمة يجب المعاقبة عليها، مهملين أن المشاعر طيور لا تختار على أي غصن تبني أعشاشها، فالحب يقع دون إدراك، فتنظر له بعين ليست كأعينهم، وقلب

في ليلة السطعش من شهر نيسان   بالسته وستين عـام المسيلة
والعلم قسمة حظ والحظ تعبان   شاعر خِتام الثانوية حصيلة
متزوج وعندي ولد ماله اخوان   وحيد لكن فـي عيوني قبيله
كتبت اول قاف من قدم الازمان   قصيدة اجويهل ولكن جزيله
متناول اغراض القصايد والاوزان   الا الهجاء احظوظ قسمه قليله
وكم مهرجان وامسيه ومحفل اوطان   شاركت بـه وتركت بصمه جميله
لو النزاهة تحكم(غليس واسنان)   نـاصل لـو انها عالقصيد ومثيله
ومسابقات القاف من قبل لـلان   قصـة تجني عبو راشد طويله
ولا عليكم زود عـاقل وفـهمان   بس الحيا فيني سمات وخصيلة
هذي ملخص سيرتي علمها بـان   ببيات شعرٍ عن مسيره طويله

*مشاطن: إثارة المشاكل. ،بلّاس: ناقل الأخبار بغرض الفتنة.

(1) أبيات مأخوذة من الشاعر نفسه في مكالمة هاتفية بتاريخ 2026/1/15

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ليس كقلوبهم، حتى الحديث الذي منه يُسمع بإذن ثالثة ، ولأن الشاعر يدرك هذا كله، قلب الأدوار ليضع للعاذل حد، فلو "حسدوه حبيبه" ما صبر، فالحياة دون من تحب تسبب ضيق في النفس على حد قوله.

يختم الشاعر قصيدته بإن الله حسيب كل حاسد، مفرق للشمل، طالباً منه أن يتقِ الله في القلوب العاشقة فلا صبر للعاشق دون من يعشق، ولكل إنسان حياة ونصيب عليه الانشغال بها، فيجب أن نعود للفطرة السليمة وترك أمور الناس لها وحدها، فكم من قلب فقد حبيبه بسبب كلمة نطق بها آخر؟

كانت القصيدة أشبه بصرخة في وجه الواشي النمام، الذي أنهك القلوب وأعياها، مستخدما أغلب الأساليب وأشدها وجعا، عل ما في قلب الواشي من حسد متكدس يزول، فبعد أن كان حاسداً أضحى محسوداً، وأقرب الناس من قلبه اختفت موازينه، بسبب "هرجة" نقلت ففتنت، وختمها بدعوة لترك سيرة الناس والحث على تقوى الله وحده.

أما ثالث النماذج الشعرية، فكانت مجموعة أبيات تعود للشاعر سويلم محيل المصبحيين*، والذي ذاق من ويلات العاذل حتى أرتوى، فدعا عليهم كل ما غنى طير وغرد، وكثر الدموع الطاهرة التي تنسكب من تلك الأعين البريئة يتامى فلسطين، وكأنها مطر مدرار، لذلك توجد الشاعر قائلاً:

يا أهل الحسد أقول ما انتم على خير يا زارعين الشر بين المحـبين

وش عذركم تكب شرك على الغير ما خفت ربك يوم دمرت قلبيـن؟

اللي سعى بين الولايف بتـزوير الله عسى يرميه فالماقع الشيـن

يا اللي فرقت اثنين من غير تبرير أبشرك مغسول قلبك من الـديـن

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أدعي عليكم كل ما غـرد الطـير واعداد ما تبكي يـتامى فلسطيـن (1)

يبدأ الشاعر قصيدته دون مقدمات طويلة، مخاطباً أهل الحسد مباشرة، مذكراً إياهم أن لا خير منهم أو لهم، هم أولئِك الباذرين للشر بين المحب وحبيبه، فالشر إن زُرع بين المحبين كالشوك ، يصعب اقتلاع جذوره وتصبح أكثر امتداداً مع مرور الأيام .

ما زال الشاعر يطرح تساؤلاته، فقلبه ما زال دامٍ عقب الخسارات التي ذاق لوعاتها ، فأصبح الغريب بعد إن كان أقرب لها من حبل الوريد، فيسأل أهل الحسد ما العذر الدافع لكم في نثر هذا الشر بيننا؟، ويذكرهم بمخافة الله التي غابت عن أعينهم، وصفاء قلوبهم الذي اختلط سواداً، فلا يدمر القلوب إلا من كانت رياح الغدر تهب كل ما ذعذع الهوى، ليقف الشاعر ويبحث في الخفايا عن جواب يستر به أوجاع قلبه.

فبعد كل ما ذاقه الشاعر من ألم وفقد، قرر إطلاق العنان للسانه باختيار ما يحلو له من دعاء، فإذا العذول لم يتب، كان للدعاء في نفسه حرب تجلجلت طبولها، فأنت يا من سعيت بين الولايف ببث الأخبار الكاذبة، لتحقق مطمعك في تفريق القلوب بعد قربها، فمثلما سعيت، عسى رب العباد يضعك في كل موقف شين حتى تشعر بما أشعر.

ما زال الشاعر في انفعاله مخاطباً العذول قائلاً: أنت يامن فرقت القلوب بعد قربها، أن قلبك مغسول من الدين، ولم يكن نقل الخبر نقلاً عادياً، بل زفهُ على شكل بشرى، حيث قال: "أبشرك"، وهذا الفعل لا يُقال إلا في المواطن المحمودة، إلا أن الشاعر زف للعاذل خبر خلو قلبه من الدين على شكل بُشرى، والبشرى في العرف السائد ما هي إلا أخبار حميدة تُفرح قلب سامعها، لكن بسبب ما تجرعه الشاعر من ألم وحسرة زف هذا الخبر على شكل بشرى.

---

* سويلم محيل المصبحيين: من مواليد 1962، درس في منطقة الجرباء والحسينية التابعات لمحافظة معان، الواقعة جنوب الأردن، نشأ في كنف عائلة محبة للشعر وأهله، فوالده الشاعر محيل المصبحيين، الذي تم ذكره فيما سبق، يتصف شعره بالعذوبة وقوة المعنى وبُعد المغزى، كما أنه محب للرياضة إضافةً لفصاحة لسانه .

(1) أبيات مأخوذة من الشاعر نفسه في مكالمة هاتفية بتاريخ 2025/9/11

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لم يكتفِ الشاعر بهذا القدر فما يزال لسانه حمّالاً لأشد أنواع الدعاء وقع في النفس، فيقول: "أدعي عليكم كل ما غرد الطير"، لم يكن اختيار الشاعر لهذا التعبير اعتباطياً، فربط الدعاء بتغريد الطير؛ فالدعاء مستمر ومتجدد ليؤكد أن ما يشعر به من غضب اتجاههم مستمر، واختيار الشاعر لتغريد الطير يُنشئ تناقض دلالي، يزيد للعبارة حدة وتأثير، ليجعل الألم يلاحقهم حتى في لحظات الصفاء، وكأن الشاعر بهذا جعل من دعاءه أبدياً شاملاً، مشحون بالعاطفة، ومغلف بصورة طبيعية لتجمل وجع قلبه.

لم يكتفِ الشاعر في اقتناص تغريد الطير في صوره ، بل ذهب لما هو أعمق وجعاً، فاختار من الصور أشدها مرارة على قلوب العرب تلك الدموع المنهمرة من الأعين البريئة التي اعتادت توديع احبابها، وذرف الدموع على من كانوا هُنا، ثم أتت المنية دون سابق إنذار فاختطفت من البيوت عمدانها، فاليتيم يشبه البيت الذي سقط عموده جراء الرياح العاتية، وما للأيتام إلا البكاء، والتسليم لأمر الله، لم يجعل الشاعر الدعاء تعبير فردي، بل جعله أوسع وذلك لأن جرح فلسطين ما زال دامٍ يُبكي العربي الغيور، فمن عام 1948 ودموع الأيتام في انهمارٍ دائم، وجرحهم في اتساع، لذلك اختار الشاعر هذه الصورة المؤلمة، ولعلمه المسبق بأن في كل يوم يولد يتيم في فلسطين.

ترى الباحثة، بأن اختيار الشاعر للصورتين الأخيرة، عمقاً أشدّ مما نعتقد، فالطيور المهاجرة، ودموع يتامى فلسطين، كلها في استمرار دائم، كما أنها تودع بالإجبار من تحب، فتغرد الطيور وهذا فعلها الدائم، وتودع اليتامى أباءها ولا لهم إلا البكاء وما للنفس أن تسلى دونهم، كذلك هو حال الشاعر، الذي يذكر محبوبته على الدوام، وما لنفسه أن تسلى دونها، لذلك اختار الشاعر هذه الصور علّ الفؤاد المكلوم أن يُشفى من جرحٍ أصاب وأثقل.

تبث القصيدة لوعة عشق صادقة، سدد فيه العذل نباله فأصاب سويداء الثقة بين المتحابين، مما هدم صروح الوفاء بضربة غدر غاشمة، جعلت من الشاعر لا يختار إلا الدعاء على من عذل وفرق، وكأن هذا ما تبقى له، فأمسى خالي اليدين ممن كانت على عرش قلبه تتربع، فما له إلا ذكريات يلملم شتاتها، وفي كل لحظة صفاء يدعو على العذول الذي جرّعه الألم.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أما آخر النماذج الشعرية التي وقع اختيار الباحثة عليها قصيدة تعود للشاعر عيد الحويطات والذي اكتفى بالتعريف عن نفسه بهذا الاسم فقط، رافضاً الإفصاح عن أي معلومة أخرى، فجاد لنا من فيض تعبيره بهذه الأبيات:

كنت أحسب إن الوقت ما به تهاويل كسّر مجاديفي وغيّر جـهاتـي

والحيـن ما بيني وبينه مراسيــل حبل الوصل ياهيه صبّح إشتاتي*

من مبطي* أنا وأنت و الثالث الليل والحـين أنا والليــل والذكرياتِ

قفّى* و قال حروة* اسبوع بالحيل وانا راجع يا اهم جـزء بحياتـي

لكن أشوف أسبوعها مد بالويـل خامس شهر وأنا أنتظرها تـاتي

كمل طريقك يا عساها تسـاهيـل وانا اكتب المضمون داخل ابياتي

دامك غني عني فانا عنك با اشيل* أقفوا* بك العـذّال درب الممـاتي

آخـر لقى من بيننا تسـعة إبريل يا ليت ذاك اليوم ساعة وفاتـي (1)

تنهض القصيدة على صدمة عاشها الشاعر الذي اعتاد نعيم وصالها، فتبدأ القصيدة حيث النهاية بعد الوصال، والقلى بعد القُرب، وهذا ما كان الشاعر يظنه على الدوام أنها منه وله، لكن ما حصل حطّم تلك المجاديف التي تُبحر نحوها، فغيّر المسار بعد أن كانت هي جهاته الأربعة.

*إشتاتي: متفرق، مبطي: منذ القدم ،قفّى: رحل، حروة: مدة ،اشيل: أرحل، أقفوا: ذهبوا بك بعيداً.

(1) مأخوذة الأبيات من موقع الشاعر الرسمي، وذلك بعد مشاركته في شاعر المليون.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ما زال الشاعر يشكو صدمة غيابها، وذلك بعد أن أصبح الحبل الذي يجمعهما شتات ممزق، حتى المراسيل التي بينهما انقطعت، فيذكرها بالذي كان من ذكريات، وأحاديث السمر التي لا تحلو إلا بها وبقربها ليصنع معها ذكريات، وكان هذا ما يحطم فؤاده العاشق لتفاصيلها، فبعدما صنع الذكريات معها في تلك الليالي، أصبح الآن يقتات على تلك الذكريات هو وليله البارد.

يعيش الشاعر تفاصيل غيابها ويذكر تلك العهود التي انقضت، فهاهي تجمع تفاصيلها، على أمل أن غيابها وأن طال لا يتجاوز الأسبوع، والقلب المتيم على الانتظار باقٍ، لكن الأسبوع انقضى و ولاه آخر، وها هو الشهر الخامس، والشاعر يقتات على ذكرياتها، حتى أصبح يئنُّ ويلاً، مما في قلبه من وجع.

وبالرغم مما يختلج صدره من ألم، تمنّى لها أن تتسهل أمورها ويفرح قلبها، وهذا هو الحب الحقيقي أن تتمنى لأحدهم دوام العافية، وقلبك من فراقه يتذرع الأمرين، مر غيابه من جهة، ومن يجالس من جهة أخرى؟ فتصبح القريب البعيد، وما لك إلا منارات المراقبة، التي تشعلها متى ما هب الحنين وأعتصر الشوق خمراً في جوفك المكلوم، أما الشاعر اختار أن يُطرب الناس على أوجاعه، ويوثقها داخل أشعاره، ومن وجهة نظر الباحثة بينما يتجاوز أحدهم، يصبح الآخر أديب، تئن مؤلفاته وجعاً.

وبعد لحظة الانكسار التي وثقها الشاعر داخل أبياته، يستجمع قواه ويذكر أنه البدويّ الذي تعيب عليه صحراءه، بوح لحظة انكسار، وإهدار دمع بعد الفراق انهمر، ليقول لها بعالي صوته: دامك غني عني؟ فأنا عنك لست أغنى فقط، بل سأرحل تاركاً خلفي كل مشاعري تلك، واختار الشاعر كلمة (أشيل) وهي في الأغلب تستخدم عند أهل البادية في وقت الرحيل، فيُقال: شلنا، أي جمعنا ما لنا من متاع تاركين هذا الأرض، باحثين عن أخرى.

لا يأتي هذا الفعل عند أهل البادية بشكل عبثيّ، بل جراء ظروف حدتهم على الرحيل، مثل الجوع، والقحط، أو أن تكون هذه الأرض مطمع فتكثر الحروب عليها، فإن لم يكن لديهم عدد وعدة كان الرحيل هو الحل الأنسب، وهذا ما عاشه الشاعر، فبعد قحط المشاعر، واختلال موازين الهوى، وتفضيل الغير عليه، اختار الرحيل وأن كان مجبر، وذلك لأن العذّال ذهبوا بها بعيداً، واختاروا لها طريق لا رجعة فيه.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لكن سرعان ما خارت قوى الشاعر في لحظة ذكرى هب نسيمها، لتداعب الذكريات، ويولد الحنين من رحم الغياب، ففي تسعة إبريل، كان آخر لقاء يجمعهما، وآخر فرحة يعيشها الشاعر وقلبه، ليتمنى بعدها أن لو كان هذا اللقاء آخر ما عاشه، وتلك الساعة التي جمعته بها كانت ساعة إعلان وفاته للعلن.

بُنيت القصيدة على ذكريات انقضت، ومشاعر اختلطت بين عزة وانكسار، وذلك بعد أن تدّخل العذول وأنهى قصة عشق، كانت للشاعر أعمق من كونها قصة حب عابرة، فاختلت معتقدات نشأ عليها، لتتكسّر مجاديفه، وتتغيّر جهاته، وتختلط مشاعره، فرحلت العزة بعد لحظة شوق هب نسيم ذكراها، ليتمنى بأن لو كان آخر لقاء بينهما هو آخر عمل قد قام به قبل أن توافيه المنية.

وفي ختام هذا البحث تؤكد الباحثة أنه ما زال في البادية الأردنية ما هو الكثير الذي لم يطرق، كما تؤكد على أن للعواذل في كل مجتمع حضور وإن اختلفت صورهم، لكن مسعاهم واحد، فرّق وأجعل القلى يَسُد، والسؤال المتكرر على الدوام ما المسعى وراء بث سم الفرقة بين القلوب المتحابة؟ ولما الحرب تدور رحاها متى ما أعلن العاشق عشقه؟